بدلاً من المقدمة :

نشأ صندوق النقد الدولي والبنك الدولي في ظل هيمنة أمريكية جعلت الاتحاد السوفيتي يسعى لتكوين مناظر لهما (الكوميكون) وحول كل قطب استعمال شتى الوسائل لاستقطاب الدول فكانت المعونات والقروض من الوسائل الهامة في عمليات الاستقطاب وبدأت أوروبا منذ السبعينيات في اتباع نفس سياسات الترغيب والترهيب والضغط وحاولت دول العالم الثالث أن تنتهج سياسة ما عرف بالحياد الإيجابي الذي أتاح لمصر أن ترفض الضغوط الأمريكية في عدم تمويل السد العالي وأن تلجأ إلى الاتحاد السوفيتي في بناء السد العالي ، ولكن على الرغم من ذلك فإن المنظمات التابعة للأمم المتحدة لم تتحرر من هيمنة القوى الكبرى وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية .

وتستهدف الدول الكبرى الدول الفقيرة (دول الهامش) تابعة للدول الكبرى (دول المركز) وإذا كان العقل الأمريكي هو عقل براجماتي وذرائعي ومعيار الحقيقة لديه هو لمنفعة والمصلحة فإن تقاريرهم تفيد أن تلك المعونات والمنح والقروض تتفق مع مصالحهم القومية ضماناً لتبعية الدول الفقيرة حتى تظل في الهامش ذلك لأن معدلات التنمية والمدخرات الوطنية والاستثمار غالباً تتناقص مع زيادة المعونات والقروض فالمسألة في جملتها ليست تدعيماً للتوجهات الإنسانية أو من أجل تدعيم مفاهيم الأخوة والشراكة على ظهر الكوكب وإذا كان التسليح يعد المجال الأساسي لتلك المعونات فإن التعليم دخل تلك الدائرة الخبيثة نتيجة إدراك أن التعليم أداة أيديولوجية تسهم في إعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية وبالتالي فإن ما يسمى بالنخبة أو الصفوة الحاكمة في دول العالم الثالث المرتبطة مصالحها بالدول الكبرى تجد أن ارتباطها الاقتصادي بدول المركز يدعمه نظام التعليم تحت دعاوي التحديث على اعتبار أن النموذج التنموي الغربي هو النموذج الوحيد للتنمية ومؤسسا التعليم التابعة تدعم آليات التبعية الاقتصادية وبالتالي لا غضاضة أن يستهدف التعليم في أفريقيا ، تكوين أمريكيين ثقافياً وتعليمياً سود البشرة.

وعلى الرغم من أن المعونات تظل رهينة الموقف السياسي للدول الفقيرة إلا أن الدول المانحة عادة تحدد نوعية الخبراء والأجهزة .

وتتعدد المجالات والمشروعات التعليمية التي يقدم لها العون من إنشاء مدارس أو تدريب معلمين أو القيام بأبحاث وعقد مؤتمرات أو استحداث هياكل إدارية ، ونجد أن العون الأمريكي والخاص بالبنك الدولي يستهدف إحداث تغيرات في المنظومة التعليمية مثل تطبيق مشروع التعليم الأساسي ، وإذا كانت اليونسكو ترى أن التعليم الأساسي هو الحد الأدنى الضروري من القيم والمفاهيم والاتجاهات والمهارات فهذا يعني أن الدول التي تريد الدخول في عصر المعلوماتية تحتاج إلى تعليم عال عالي الجودة وإن التعليم الأساسي الذي يتم تقديم العون له يستهدف إعادة إنتاج التخلف فإذا كنا نجد كلينتون في برنامجه الانتخابي الثاني يتحدث عن تعليم عال عالي الجودة للجميع ، نجد أن التعليم للجميع للدول المتخلفة ينصب على التعليم الأساسي الذي هو تعليم فقير في فلسفته ومخرجاته ، وفي نفس الوقت نجد الدعاية إلى ما يسمى بمدارس الفصل الواحد من قبل الهيئات والدول المانحة ، فإذا كانت المدرسة متعددة الفصول تم اختزالها في فصل واحد فإن الدول الصناعية الكبرى تعمل على إيجاد وسائط ومؤسسات تربوية إلى جانب المدرسة متعددة الفصول ، كما نجد أن المانحين يهتموا بالتعليم التطبيقي والفني دون تشجيع يذكر لصيغ وأنماط التعليم التي تزاوج بين الفكر والممارسة في بنيتها ومناهجها وهذا يعني أن العون الخارجي له تأثير على السياسات التعليمية وعلى البنى التعليمية والمحتوى الدراسي .

لهذا سوف ينصب هذا العمل حول تعريف مدى تأثير العون الخارجي على السياسة التعليمية ومعرفة القوى والعوامل المؤثرة في تقديم المعونات مع تحديد أهداف هذا العون وجهاته ومجالاته ودوره في تطوير/ تخلف النظام التعليمي مع بيان أوجه الاستفادة من ذلك العون .

مع التأكيد على أن فقر الفكر أخطر من الفقر المادي وأن هذا العـــون توجهـــه مصالح ورؤى لقوى مهيمنة مرتبطة بدول المركز وليس من أجل الإحسان أو التعـــاون الدولي و الشراكة المزعومة .

ونظراً لأننا نحتاج إلى رؤية نقدية تفكك الخطابات والوقائع في شتى المجـــالات فإن هذا العمل النقدي يعد عملاً مهماً في هذا الصدد وهو في جوهره عمل علمـــي قـــام بالإشراف عليه المرحوم الأستاذ الدكتور عبد الفتاح جلال وأعدته الدكتورة فاتن عدلـــي المدرس بمركز البحوث التربوية وهى من شباب الباحثين ذوى الرؤية النقدية والموقـف الوطني الذي عز وجوده في مجال التربية نتيجة عوامل كثيرة فـــي مقدمتـــها الحـــرس القديم الواقعين في حلقة التبعية من التراث أو لكل وافد غربي بدون فكر نقـــدي يشـــبع التراث والوافد الغربي نقداً لمصلحة المستقبل .

أ.د طلعت عبد الحميد

كلية التربية – عين شمس